

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[35] الشكل الآخر من التكبر إمام الله هو ما نجده من تكبر إبليس وأتباعه حيث استكبروا ورفضوا إطاعة الله تعالى من موقع الأفضلية لأنفسهم والاعتراض على الحكم الإلهي وأمره حيث قالوا: إن إبليس الذي خلق من النار لا ينبغي له السجود لمخلوق من تراب كما تقول الآية على لسان إبليس: (... لَمْ أَكُنْ لَاسْجُودَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ) (1)، أو تقول الآية: (... قَالَ إِنَّا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (2). أجل فإن الحجاب العظيم للكبر والغرور قد يصل إلى درجة أن يحجب عقل الإنسان وبصيرته عن رؤية حقائق الأمور وأنّه موجود ضعيف فيرى أنه أعلم من الله تعالى. القسم الآخر للتكبر هو التكبر في مقابل الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم كما نرى هذه الحالة في طوائف المستكبرين من الأقوام السالفة أمام أنبيائهم إذ رفضوا طاعة الأنبياء من موقع التكبر والغرور وقالوا: (... أَنزَلْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا يُنْزِلُ الْبَشَرِ يَنْزِلُ مِنْ لَدُنَّا...) (3) أي موسى وهارون، وتارة كانوا يقولون مثل مقولة قوم نوح (عليه السلام): (وَلَدَيْنَا طَاعَتُهُمْ بِشَرٍّ مِثْلَكُمْ إِنْ نَزَّلْنَاهُمْ إِذَا لَخَّاسِرُونَ) (4). وتارة أخرى يتذرعون بذرائع طفولية ويقولون من موقع العناد واللجاجة: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَاحَظْنَا لَأَنزِلَنَّهُمْ) (5). القرآن الكريم يقول في سياق هذه الآيات الشريفة: (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا) (6). القسم الثالث من أقسام التكبر هو التكبر في مقابل عباد الله بحيث يرى نفسه أعلى منهم ويرى الآخرين من موقع الحقارة والدنائة وأنهم لا قيمة لهم أمامه وبالتالي فلا يرى 1. سورة الحجر، الآية 33. 2. سورة الأعراف، الآية 12. 3. سورة المؤمنون، الآية 47. 4. سورة المؤمنون، الآية 34. 5. سورة الفرقان، الآية 21. 6. المصدر السابق.